# الباب الثالث

# الخطاب الديني

ويشتمل على:

**الفصل الأول**: وسائل الخطاب الديني.

**الفصل الثاني**: الخطاب الديني في دعوة الأنبياء.

obeikandl.com

obeikandl.com

# الفصل الأول
# وسائل الخطاب الدِّيني

## أولا: التبليغ:

● هو تبليغ معلومة أو أكثر بهدف توصيلها كما هي، مِنْ ذلك قوله ﷺ: **{ بَلِّغوا عنِّي ولو آية }**(١)، وقوله ﷺ: **{ فرُبَّ مُبلَّغ أَوعى مِنْ سَامِعٍ }**(٢). وقال تعالى: **(إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ)** [الشورى: ٤٨].

وهذا التبليغ مسئولية كل مسلم تجاه رعاياه، وأقرانه، والمحيطين مِنْ حوله.

وهذا لا يستلزم طريقة بعينها، أو مكانًا بعينه، كلٌّ بأُسلوبه، وحسب تعبيره، شريطة أن لا يُفتي بغير علم، أو يتدخَّل في موضوع لم يُتقن علمه، وأن يكون على علم وبصيرة بما يتمُّ البلاغ به، وأن يكون فاهمًا لمقصود البلاغ، ولا يحيد عن الغرض منه.

● **مِنْ أَمثلة ذلك:** تعليم الأذكار النبويَّة، والأدعية المأثورة، والأحاديث المشهورة على ألسنة الناس، وكل ما يساعد في هداية الناس وصلاحهم.

قال تعالى: **(وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ )** [فصلت]، ومنها إقامة الحجَّة على المخالفين بالدليل مِنَ الكتاب والسُّنَّة.

❁ ❁ ❁

● ويجب أنْ يكون قلبُ المبلِّغ مُفعَمًا بالحبِّ والخير وتمنِّي الهداية والصلاح، وتقبُّل الآخرين والتوفيق والرشاد، وابتغاء الأجر مِنَ الله وحده، وعدم التطلُّع إلى

---

(١) أخرجه البخاري: ك: «أحاديث الأنبياء» ب: «ما ذكر عن بني إسرائيل» (٣٤٦١) عن ابن عمر ﷺ.
(٢) أخرجه البخاري: ك: «الحج» ب: «الخطبة أيام منى» ح: (١٧٤١) من حديث أبي بكرة ﷺ.

ما عند مَنْ يرغب في تبليغه.

والمبلِّغُ يحمل همَّ هداية الناس وصلاحهم، وهو حريص على مصلحتهم.

ويلزمه الإخلاص لله تعالى، وعدم مخالفته للكتاب والسُّنَّة، وهما شرطا قبول أي عمل. هذا بجانب شرط صحَّة الصدور، وهو العزيمة الصادقة.

❁ ❁ ❁

- **والبلاغ دعوة جميع الأنبياء** :

قال تعالى: ﴿ مَّا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ﴾ [المائدة: ٩٩].

وقال تعالى: ﴿ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الأحقاف].

والتبليغ يحتاج إلى مبُلِّغ، وبلاغ، ومُبلَّغ، ويجب أنْ يكون البلاغ على قدر فهم وعلم وثقافة المبُلَّغ، وأنْ يكون المبلِّغ على دراية وإحاطة بما يقوم بالتبليغ به.

❁ ❁ ❁

## ثانيًا: الدعوة :

وهي الركن الأصيل في هذا الدِّين، وهي أمرٌ مِنَ الله تعالى لكل مسلم؛ قال تعالى ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾[النحل: ١٢٥].

**سؤال: هل الدعوة خاصة لغير المسلمين بدعوتهم إلى الإسلام؟**

نعم هذا اختيار بعض أهل العلم أَنَّ الدعوة إلى الله ﷻ تخصُّ دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، وهي عندهم تشمل: الدعوة بالكلمة والموعظة الحسنة، يرافقها الحكمة والحُجَّة والبيان وطريقة الإلقاء، ونبرة الصوت المؤثرة، وتكون النصيحة والتربية والتعليم والتوجيه خاص بالمسلمين.

وتشمل الدعوةُ الجهادَ؛ كما في أحاديث القتال: «ادعهم إلى إحدى ثلاث: إمَّا الإسلام؛ فإن قبلوا فلهم ما لنا وعليهم ما علينا، فإن أبوًا فادْعهم إلى الجزية، فإنْ فعلوا فلهم الأمان، وإلَّا فادعهم إلى القتال وأنذرهم ثلاثًا»، ولولا هذه الدعوة ما فتحت بلاد العالم أراضيها وقلوبها وعقولها لقبول الإسلام.

ولا غرابة؛ فهذه الدعوة قائمة إلى اليوم؛ ولكنها انتقلت مِنَ المسلمين إلى غيرهم بسبب تخاذلهم في دينهم، وأصبحنا نحن المفروض علينا إرادات ومناهج وأفكار وسياسات غيرنا. وهذه مِنْ سُننِ الله تعالى؛ قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُوا۟﴾ [البقرة: ٢١٧].

ومِنْ وسائل الدعوة التعليم والوعظ والإرشاد والتربية والتوجيه والنصيحة والتأديب والتعزير.

❁ ❁ ❁

● وفريق آخر مِنْ أهل العلم يرى أنَّ الدعوة إلى الله ﷻ تشمل جميع الناس بمختلف أجناسهم، بشتَّى الوسائل وبمختلف الإمكانيات؛ قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة].

والدعوة إلى الله تعالى تكون بالخطاب المباشر، أو الموعظة الحسنة، أو بالسلوك الحسن، وبالمعاملة والخُلُق الطيب، كتفريج كُربة، أو قضاء دَيْن، أو بهدية تُحبِّب النفوس، أو بكتاب إسلامي مميَّز، أو شريط مسموع، أو اسطوانة كمبيوتر، فوسائلها وطرقها كثيرة ومتنوعة، وقد تكون بحسن المعاملة والعِشْرة، والصدق في الحديث، والأمانة في التجارة، والوفاء بالوعد، وما شابه ذلك.

● **ولنجاح الدعوة يلزم لرجل الدعوة الناجح ما يلي :**

**١-** أن تكون دعوته دعوة صحيحة، فلا يدعو إلى بِدعة أو إلى حزبيَّة أو إلى طريقة من الطرق؛ إنَّما الدعوة لإقامة الدِّين وعدم التفرق فيه، والرُّقي بالمسلمين إلى مرتبة الإحسان في العبادات والمعاملات؛ [ **أَنْ تَعْبُدَ اللهَّ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ** ] (١).

**٢-** معرفته بالدعوة التي يدعو إليها، فإنْ كان جاهلًا بها أو غير مُلِمٍّ بها فمن الآكد أَنَّه سيدعو إلى شيء غير مراد الله ورسوله. مثال ذلك: (دعوة جماعة التبليغ والدعوة إلى الخروج معهم لا غير)، وكذلك دعوة سائر الفرق والطرق.

ويجب عليه في دعوته أن يكون مستدلًّا بالدليل مِنْ الكتاب والسُّنَّة، وأنْ يكون لديه المهارة في مخاطبة العقول والنفوس والعواطف.

ولابد من معرفته بطبيعة وكيفية الدعوة مِنْ حسن عرض الإسلام بصورة محبّبة للأنفس، وبفهم يصل إلى مستوى ثقافة وتعليم المدعو، ومعرفته بالمدخل الملائم، والوقت المناسب، والزمن الكافي الذي يمكن استغراقه في دعوته، حتى لا يملَّ مستمعه؛ قال تعالى: (**قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ۖ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾**) [يوسف].

**٣-** أَن يكون قدوةً وأسوةً لمن يدعوه، يتصف بحسن الخلق، والصدق والأمانة في التجارة والصناعة، وإتقان العمل، والمحافظة على المواعيد والحقوق، كريمًا مِعطاءً، واسع الصدر، حليمًا صبورًا ذا أناة، وذلك حتى يترك أحسن الأثر في نفوس

---

(١) أخرجه البخاري: ك: «الإيمان» ب: «سؤال جبريل النَّبي عن الإيمان والإسلام»، ح (٥٠)، ومسلم: ك: «الإيمان»، ح (٨) من حديث أبي هريرة ﷺ.

المدعوِّين، وعليه أنْ يبتعد عن الثرثرة والبخل، وسائر الصفات التي ينفر منها الناس، وأن يتصف بالرفق مع المدعوين إلى الإسلام، فما كان الرفق في شيء إلَّا زانه، وما نُزع مِنْ شيء إلَّا شانه، وإنَّ الله ليُعطي على الرفق ما لا يُعطي على غيره.

وأن يكون لديه خبرة في فنِّ إدارة الحوار والخروج منه في الوقت المناسب، وأنْ يكون خبيرًا غير مفرِط عند الحديث عن الخوف أَو الرجاء، وأيهما أصح في وقته وبالقدر المعتدل، بعيدًا عن الثرثرة والجدال.

**٤-** معرفته بحال من يدعوه: ثقافته، بيئته، فكره، عمله، عمره، حاجته، مشاكله، دراسته، كل هذه المعلومات يجب أنْ تكون لديه بسرعة البديهة، ومعرفة متى يبدأ النقاش والحوار، وبماذا يبدأ، ويتسلسل مِنَ السهل اليسير المحبب إلى النفوس، ثم يتدرج شيئًا فشيئًا لتحقيق مُراده، وأنْ يكون حريصًا على مصالح الناس واهتماماتهم وما يشغلهم، مجتهدًا في وصف الحلول الواقعية والمناسبة والعملية، وألَّا يكون ثقيلًا عليهم، ولا يحدثهم طويلًا حتى لا يَملُّوا، ولا يحدثهم في وقت ليس مناسب أو هم مشغولون عنه.

**٥-** تجنب المناقشات مِنْ غير فائدة، والحمية والغضب في غير محله، والجدال بغير علم أو مع محترفي الجدال لقوله ﷺ: **{ أَنَا زَعِيمٌ (أي: ضامن) بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ (أي: الجدال) وَهُوَ مُحِق }**(١).

**٦-** أنْ يحسن استغلال المناسبات في حياة الناس: مِنْ مرض، أو فرح وسرور، أَو حزن، ويجيد فنَّ ومهارة الحديث في كل مناسبة بما يناسبها وبما يلائمها.

**٧-** أنْ يُكثر مِنْ سماع العلماء، وتنويع هذا السَّماع؛ ليكتسب مهارة تنويع

---

(١) أخرجه أبو داود ك: «الأدب» ب: «حُسن الخلق» ح: «٤٨٠٠»، عن أبي أُمامة صدي بن عجلان ﷺ.

الأساليب ودمجها بأسلوب مِنْ عنده، حتىٰ يصل إلىٰ الحكمة، وهي نتاج لثلاثة أشياء: علم يَجِد ويجتهد في تحصيله، وممارسة بحب وإخلاص للعمل الإسلامي، وفضل وموهبة مِنَ الله ﷻ يهبها الله ﷻ لمن يشاء مِنْ عباده، بسُنَّتها وأصولها مِنَ الإخلاص والصدق والرغبة إلىٰ الله ﷻ والدار الآخرة.

**٨-** أَن يتجنَّب التقليد لشخص معين، في الأسلوب أَو العرض، حتىٰ لا يُلغي شخصه وأُسلوبه، وحتىٰ لا يكون نسخة مكررة، وعليه أن يجتنَّب ذكر الأحاديث الموضوعة، والقصص غير المعقولة، فلديه كتاب الله ﷻ به أحسن القصص، وفي سُنَّةِ النَّبي ﷺ أبدع وأجمل القصص، وفي سير الصالحين من هذه الأمَّة وأقوالهم غناءً عن سيرة غيرهم وأقوالهم.

**٩-** أنْ يكون محتسِبًا لها متطوِّعًا بها؛ طمَعًا في ثواب الآخرة، خالصة لوجهه تعالىٰ، ولا يسأل عليها أجرًا، ولا يطمع فيما عند الناس، غنيًّا بنفسه، عزيزًا بدينه، لا يُذِلَّ نفسه ولا يُهينها، ولا يضعها في مواطن الشبهات، متجنّبًا إثارة الفتن والخلافات والشبهات وإصدار الفتاوىٰ والأحكام، محبًّا للأعمال الخيرية والتطوع بها ومساعدة الناس في شئون حياتهم، بعيدًا عن المنافسة بينهم علىٰ مركز أو منصب أو مال أو دنيا.

**١٠-** أنْ يحترم من هو أعلم منه، وأكثر منه فقهًا ودراية بالقرآن والسُّنَّة، وأسبقه التزامًا وتديُّنًا، وأنْ يتعوَّد توقيرهم واحترامهم، وأنْ يُكثر مِنْ حضور مجالس العلم الشرعي، حتىٰ ترسخ لديه المفاهيم الصحيحة مِنَ الكتاب والسُّنَّة.

**١١-** أنْ يكون متعاونًا مع إخوانه الدعاة والعلماء، منسِّقًا معهم الدورات العلمية الشرعية، والدعاية لها، ومحاضرات ودروس العلماء. فهذا التعاون سوف

تثمر جهوده وبركته على الحي الذي يسكن فيه وما يجاوره.

وأن لا يبخل عن الإنفاق في هذه الدعوة من حُرِّ ماله، فهذا من أعظم أوجه الإنفاق والبرِّ المؤدي إلى التقوى.

❁ ❁ ❁

**ثالثا: العلم:**

هذا الدِّين بُني في أول لَبِناتِه على العلم والقراءة؛ قال تعالى: ﴿اقْرَأْ﴾ [اقرأ: ١]، وقال تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ [الرحمن]، وقال ﷻ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

وفي الحديث: [ طَلَبُ العِلْمَ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٌ ] (١)، فالعلم ميراث النبوَّة، والعلماء ورثة الأنبياء، والعلماء هم مشاعل النور والهداية والرحمة، وإذا غاب العلم وقعَ الناسُ في ظلمة الفتنِ، والفتنُ أول مَنْ يعلم بها عند وقوعها العلماءُ، بينما يعلم بها عند زوالها أصحابُ الأهواء. والعلم صمام الأمان عند الفتن؛ بل المخرج منها عند وقوعها.

● والعلماء هم أصحاب الفتوى والاجتهاد، وهم أهل الحَلِّ والعَقد، وهم أصحاب البصيرة، وقبطان السفينة التي تقودنا إلى برِّ الأمان.

وهم الموقِّعون عن ربِّ العالمين، وفضلهم وبركتهم لا تَخفَى على كل ذي لُبٍّ وبصيرة، وهُم الملوك على وجه الحقيقة، يَغشاهم الناس ويلتفون حولهم، ويتسابقون إلى مجالسهم، عن رغبة وشوق، ويمشون أمامهم وخلفهم في الذهاب

---

(١) أخرجه ابن ماجه: ك: «الإيمان وفضائل الصحابة والعلم» ب: «فضل العلماء والحثّ على طلب العلم» ح: (٢٢٤) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

والإياب، والأمَّة في حاجة إلى علماءَ أكثر مِنْ حاجتها إلى دُعاة ومبُلِّغين، وأطباء ومعلمين وقضاة، وهم أشدُّ على الشياطين والسلاطين والحكام، وعالمٌ واحد أشدُّ على الشيطان مِنْ ألف عابِد.

• والعلم وسيلة التقدم والازدهار، وطريق التنمية والرخاء، ويرفع الله ﷻ الذين أوتوا العلم درجات، وهم أحقُّ الناس بمعرفة ربِّ العالمين وخشيته.

فإذا قُبض أهل العلم في بلدة وقع أهلُها في الضلال والتخبُّط، وليس مِنْ خَلق الله ﷻ أكرم عليه منهم، وهم على منابر مِنْ نور يوم القيامة، وتحت ظلِّ عرش الرحمن؛ لأَنَّ الذين يُظلُّهم الله بظلِّه يوم لاظلَّ إِلَّا ظلُّه ما تمكَّنوا مِنْ هذه الخلال إلَّا بالعلم الذي يُورث الحكمة؛ فيتحقق معه العدل في الملك، والنشأة في طاعة الله، وتعلُّق القلب بالمساجد، والعصمة من فتنة النساء، وحبُّ الإنفاق في سبيل الله، والبكاء مِنْ خشية الله (إنما العلم الخشية)، والحبُّ في الله تعالى والبغض فيه.

❁ ❁ ❁

• **أدعياء العلم**:

١- **الرويبضة**: الرجل التافِهُ عديم الخبرة، يتكلم في أمر الناس آخر الزمان، وهو مِنَ العامَّة.

٢- **العلمانيون من الكُتَّاب والأدباء والمفكرين والصحفيين والإعلاميين والمدرسين في المدارس** الذين حَشروا أنفسهم في الحديث عن الإسلام، وكأنهم هم أصحاب الوصاية عليه، وهم لا يرقبون في مؤمن إلَّا ولا ذمَّة.

٣- **الرءوس الجهَّال**: الذين ينتحلون صفة العلماء بهتانًا وزورًا.

٤- **بطانة السلطان**: أصحاب الهوى من العلماء سعيًا وراء المنصب أو المال أو

الشُهرة ولو على حساب الدِّين.

**٥- بعض الوُعَّاظ**: الذين شغلوا الناس بالقصص والأحاديث الضعيفة والموضوعة والخرافات، ويلحَق بهم علماء السوء مِنْ غير أنْ يكونوا أهلًا لذلك، والذين ركنوا إلى الدنيا واشتروا بآيات الله ثمنًا قليلًا، يُداهنون وينافقون بعلمهم مِنْ أجل دنيا فتنتهم، فلا يسمحون بمرور شيء مِنَ الدِّين إلَّا ما وافق تعاليم رؤسائهم، وحقَّق لهم العلوَّ عندهم.

**٦- أصحاب النيَّات الحسنة**: الذين لديهم مشاعر ورغبة في وعظ الناس بدون أنْ يبذلوا الجهد الكافي في طلب العلم.

**٧- المُعجَبون والمفتونون بالغرب مِنَ الدعاة ومَنْ على شاكلتهم**، فيحاولون لَيَّ النصوص حتى ينالوا وُدَّ الغرب وإعجابهم، وهم بذلك قد تناسَوا وتجاهلوا قول الله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٢٠].

**٨- أصحاب المصالح والأهواء والبدع والداعون إلى الأحزاب والفرق والجماعات**: وهم الخطر الأكبر على العلم والعلماء والخاصَّة والعامَّة.

**٩- أرباب الثقافات المختلفة**: والمطلَّعون على الكُتُبِ المترجمة وكتب الديانات الأخرى والفلسفات مِنْ غير أن تكون لديهم المؤهِّلات والحصانة الكافية.

**١٠- العامّي**: الذي لا يشغله سوى الحضور والانصراف، والتوقيع والراتب ثم يُدلي برأيه ويُفتي في أي نقاش ديني يدور حوله.

❁ ❁ ❁

● ذهبت ـ ذات مرة ـ لأشتري أغراضًا مِنْ مكتبة تبيع القرطاسية (الأدوات

المكتبية)، وحضرت نقاشًا بين البائع وبعض الحاضرين ممن لا يبدو عليهم آثار العلم والعلماء، وجدتهم يتحدثون ويتجادلون حول فتوىٰ في موضوع ما، وكان بينهم طالب علم شرعيٍّ ينظر لهم ويتعجَّب ولا يتكلَّم. فقلت لهم: هل تسمحون لي بكلمة وإبداء الرأي في أقل مِنْ خمس دقائق؟ فقالوا: مرحبًا، فبدأت بمقدِّمة قصيرة، ثم قلت لهم: لماذا نحترم الطبيب في مهنته، والمهندس في عمله، والحِرَفيَّ في حرفته، ولا يتدخل هذا في عمل ذاك؟ لِكُلٍّ تخصُّصه وعلمه الذي تعلَّمه وأجاده وتفنَّن فيه. فلماذا لا نحترم العلم وأهله، والحَفظةَ لكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ؟!، وحدّثتهم ببعض أنواع الجهل، وهي:

١- **الجهل في معرفة الدليل**: فيتكلم المرء في مسألة لا يعلم عليها دليلًا مِنَ الكتاب والسُّنَّة، إنما دليله فيها هو عقله وثقافته وهواه، وتناسَىٰ: قال الله، وقال رسوله؛ وكما قال الشافعي رحمه الله:

**إنما العلـم ما قال فيه حدثنا وما سوى ذلك وساوس الشياطين**

٢- **الجهل في فهم الدليل**: قد يكون لديه الدليل وهو مشهور علىٰ ألسنة الناس، ولكنه يفهمه علىٰ حسب هواه، ويُفصِّله علىٰ مقاس مصلحته وأهله، لا يعلمه حسب مراد الله تعالىٰ منه أَو مراد رسوله ﷺ، وفَهْمِ الذين صحبوه وطبَّقوه رضي الله عنهم؛ أي يُؤَوِّله تأويلًا فاسدًا.

٣- **الجهل في حصر الأدلة**: فقد سمِع حديثًا أو حَفِظ آية في موضوع فاستنبط منها حكمًا، وصار يدافع ويجادل عنه، ولم يُحِطْ عِلمًا بباقي الأدلَّة في هذا الموضوع؛ مما يُوقِعه في وَرْطة، والوقوع مما حذَّر الله منه؛ فجمع الأدلَّة في المسألة أمر مهم جدًّا لمعرفة الحكم.

٤- **جهل في فقه الدليل**: فلا بُدَّ مِنْ معرفة العام والخاص، والمطلق والمقيد، والناسخ والمنسوخ، والمجمَل والمفصَّل، وقد يأتي دليل والعمل على غيره، والفرق بين القول والفعل، ومعرفة الفرض مِنَ الواجب، والمندوب مِنَ المستحب مِنَ المكروه، وهل الكراهة تحريمية أو تنزيهية، ومعرفته بالقواعد الفقهية، وماذا يفعل إذا ظهر له تعارضٌ في النصوص.

وعند أهل العلم أكثر مِنْ خمسين طريقةً وحَلٌّ للجمع بين الأدلَّة إذا ظهر للعقل أَنَّ هناك تعارضًا في الظاهر بينهما، منها:

- معرفة زمن الدليل، وأيهما أسبق.
- معرفة الناسخ مِنَ المنسوخ.
- معرفة درجة صحَّة الحديث، وأيها أعلى، وأيُّها أقلُّ في الدرجة.
- معرفة سبب نزول الدليل.
- معرفة عمل الصحابة.
- معرفة الخاصِّ مِنَ العام، والمطلَق مِنَ المقيَّد.
- الرجوع إلى لغة العرب في فهم النصوص.
- معرفة العلَّة مِنَ التحريم.
- معرفة كلام العلماء في هذه النصوص.
- معرفة أيهما موافق للعقل.
- معرفة أيهما يؤيده أدلَّةٌ أخرى من الكتاب والسُّنَّة.
- معرفة ما هو عليه إجماع أهل العلم.

obeikandl.com

إلى غير ذلك مما هو موسَّع في كتب الفقه والأصول.

**٥- جهل في تطبيق الدليل وزمن الفعل**: فقد يوجد دليل ولكن في بعض الحالات لا يجب العمل به، كما في حديث الرجل الذي أمره أصحابه بالغُسل مِنَ الجنابة وهو مجروح في الرأس فاغتسل فمات، وبيَّنَ لهم النَّبيُّ ﷺ الصواب، وأَنَّ شفاءَ العِيِّ السؤال، إنما كان يكفيه ضربة في صعيد الأرض، ويمسح بها وجهه وأخرى يمسح بها يده، وهو «التيمم».

**٦- الجهل باتباعه ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله**، كما قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۘ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٧﴾﴾ [آل عمران].

**٧- جهلٌ في طريق تلقي العلوم الشرعيّة**: مِنَ التسرُّع وعدم الصبر في الإلمام بالضروري منها، كحفظ القرآن والسُّنَّة، وعلوم البلاغة واللُّغة، وقواعد التفسير وأصول الحديث والفقه.

فقد يحضر طالب العلم مجلسًا أَو مجلسين ثم يظن أَنَّه حاز على علوم الدنيا، أَين هو مِنْ حفظ القرآن والعلم بالسُّنَّة والعمل بهما، وحفظ المتون، وإجازة العلماء له وهذا قد يدفعه إلى عدم الصبر على العلم مما يُوقِعه في جهل في معرفة الواقع؛ فالأحكام في بلاد المسلمين غير الأحكام في بلاد غير المسلمين، وهذه مسألة مهمة جدًّا للمفتي، فقد يختلف الحكم الشرعي لشخصٍ معيَّن في ظرفٍ معيَّن، عن شخصٍ آخرَ في ظرفٍ آخرَ.

**٨- جهل في عدم معرفته بهواه، ومداخل الشيطان**: وتغليب مصالحه على

حكم الشارع جلَّ وعلا، وأنَّ أجرأكم على الفتيا أجرؤكم على النار، وأَنَّ مَنْ أَفتَىٰ بغير علمٍ فليتبوَّأ مقعده مِنَ النارِ.

**٩- جهل في معرفة الزمن المناسب لاستخدام الدليل في الوقت المناسب**: لقول علّ ابن أبي طالب: «**حدِّثوا النَّاسَ بِمَا يَعْلَمُونَ، أَتُحِبُونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللهُ وَرَسُولُهُ**»، فليس كل معلومة في الدِّين تُقال أمام كل إنسان، فمعرفة مدىٰ إيمان الناس وخبرته في ذلك، وأنْ يُحدثهم بما يناسب إيمانهم أمر في غاية الأهمية.

**١٠- الجهل بقوله** ﷺ: [ **وإِنَّ مِنكُم لَمنفِّرين** ]، وقوله: [ **إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَأَبْشِرُوا** ][(١)]، وهذه هي الحكمة والفِطنة في الفتوَىٰ والدعوة، فيمكن للمسلم أنْ يتجنَّب أنواع الجهل التسعة، ثم يقع في ورطة التشدُّد في غير محله، أو التفريط والتساهل في الأحكام من غير حاجة إلىٰ ذلك، أو مِنْ أجل كسب وُدِّ الناس. فيكون مُنفِّرًا أكثر مِنْ أنْ يكون معلِّمًا ومربيًّا، وعليه أنْ يدرك معنىٰ: [ **إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ** ].

● ولَمَّا ذكرتُ لهم هذه الأمور العشرة عاهدوا الله ﷻ ألَّا يتحدَّثوا في أمور الدِّين بغير علم، وأنْ يجتهدوا في تحصيله وتعلُّمه، وخاصَّة عندما ذكرت لهم بعد ذلك بعض القصص للعلماء، والتي تُبيِّن مدىٰ العَناء والمشقَّة والصبر الجميل سنوات طوال في طلب العلم وتعلُّمه وتعليمه، وأَنَّ هذه العلوم هي أشرفُ علومِ الدنيا علىٰ الإطلاق. ومع ذلك كانوا أصحاب وَرَعٍ في الفتوىٰ والحديث بغير علم.

● **مثال على ذلك**: قوله ﷺ: [ **إِنَّ اللهَ لَا يَنظرُ إِلَى صُوَرِكُم وَلَا إِلى أَجْسَادِكُم وَلَكِن يَنْظُرُ إِلى قُلُوبِكُم وَأَعْمَالِكُم** ][(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري: ك: «الإيمان» ب: «الدِّين يُسر» ح: (٣٩) من حديث أبي هريرة ﷺ.
(٢) أخرجه مسلم ك: «البرِّ والصلة والأداب» ب: «تحريم ظلم المسلم وخذله» ح (٢٥٦٤) عن أبي هريرة.

كثير مِنَ الناس استدل بهذا الحديث الصحيح على إهمال العبادات، وتبرير المخالفات والوقوع في المنهيَّات؛ لأنَّ الله ربُّ قلوب، والظاهر والصورة لاينظر إليها.

فكم مِن امرأة مسلمة بالِغة تركت الحجاب بحجَّة أنَّ الله لا ينظر إلى صورتها، وهي مع ذلك تصلي وتصوم وتزكِّي وتحجُّ، ولا تعلم أَنَّ التبرُّج مِنَ الجاهلية الأولى!

وكم مِنْ مسلم ترك صلاة الجماعة في وقتها بنفس الحجَّة، ولا يعلم أنَّ صلاة الجماعة هي دليل الإيمان والبرهان عليه.

وكم فرّط المسلمون في العبادات الظاهرة بحُجَّة هذا الحديث.

وكم حَلَقَ الرجال لِحَاهم، وخالفوا الفِطرَ وسُنَّة نبيِّهم بتزيين الشيطان لهم بهذا الحديث.

ويُصاب هؤلاء بمرض التزيُّن، وهو مرض لعين يحجب عن المسلم الهداية والإصلاح، ويُرضيه بواقعه فلا يعمل لتغييره، ويجعله مُجادلًا في الباطل وبالباطل.

❁ ❁ ❁

● **قضية القلوب**: القلب أهم عضو في الإنسان، وهو المتحكِّم في تصرفاته وأفعاله، بل هو الموجِّه والمرشد والقائد لفكر الإنسان وتصرُّفاته، وبه يتحرك وتستقيم الأعضاء.

**وتعالوا نستعرض ما ورد مِنْ أدلة وبعض الأحكامها لمعرفة موضوع:**

**[ إنَّ اللهَ لَا يَنظُرُ إِلى صُوَرِكُم ] الحديث:**

**١-** قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء].

**فما القلب السليم؟ وهل قلبي سليم أم مريض أم ميت أم مطبوع عليه، هل هو من القلوب اللينة أم مِنَ القلوب الغلف أم القاسية أم المنكوسة أم المسودة أم..؟ وما دلائل ذلك؟**

وهذا يحتاج ممن استدل بهذا الحديث أنْ يختار اسمًا وصفةً لقلبه حتىٰ يُدرك مرضه ويتدارك علاجه، حتىٰ يلقىٰ الله ﷻ سليم القلب، والقلب السليم هو القلب الذي سَلِمَ مِنْ كل شُبهة وشَهوة تخالف أمر الله تعالىٰ وخبره.

وضدُّه القلب المريض، وهو قلب الكافر الذي امتلأ بشبهات الكفر، وشهوات الجسد متحرِّرًا مِنْ أي قيود إلهيَّة عليه.

❁ ❁ ❁

**٢-** قوله ﷺ: [ **ألا إنَّ في الجسدِ مُضغَة إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ الجسَدُ كُلُّه، وإذا فَسَدَتْ فَسدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِي القَلْب** ][(١)].

**وفي هذا دليل على أنَّ الناس أربعة:**

**(١)** قلبٌ سليمٌ وظاهرٌ سليم، وهذا هو المؤمن.

**(٢)** قلبٌ سليمٌ وظاهرٌ فاسدٌ، وهذا هو الفاسق.

**(٣)** قلبٌ فاسدٌ وظاهرٌ سليمٌ، وهذا هو المنافق.

**(٤)** قلبٌ فاسدٌ وظاهرٌ فاسدٌ، وهذا هو الكافر.

فأين قلبي مِنْ هذه الأنواع الأربعة، وما هو المسمَّىٰ الذي يليق بي، وقد قال تعالىٰ: **(وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ)** [الأنعام: ١٢٠]. فأمر بترك الإثم ظاهرًا، وباطنًا.

**٣-** كثير مِنَ الأعمال الظاهرة سبب في هلاك العبد؛ كما في قوله ﷺ: [ **إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ، مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا، يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ** ][(٢)]،

---

(١) أخرجه البخاري: ك: «الإيمان» ب: «فضل من استبرأ لدينه» ح (٥٢) عن النعمان بن بشير ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري، ك: «الرقاق» ب: «حفظ اللسان» ح: «٦٤٧٧»، ومسلم، ك: «الزهد»، ب: «التكلم بالكلمة يهوي بها في النار»، ح «٢٩٨٨» من حديث أبي هريرة ﷺ.

وكعقوبات: شهادة الزُّور، والكذب، والغيبة والنميمة.

قال ﷺ عندما مرَّ على قبر رجلين: [ **إِنَّهُمَا يُعذَبَانِ وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ؛ أَمَا أَحَدُهُمَا: فَكَانَ يَمْشِي بِيْنَ النَّاسِ بِالنَّمِيمَةِ، وَأَمَّا الآخَرَ: فَكَانَ لَا يَتَنَزَّه مِنَ البَوْلِ** ](١).

فانظر إلى العمل الذي استحقوا به عذاب القبر، وكلاهما مِنْ أعمال الظاهر،

وقال ﷺ: [ **صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لم أرهما قَوْمٌ مَعَهُم سَياطٌ كَأَذْنَابِ البَقْرِ، يَضْرِبُونَ بها النَّاسِ، وَنِسَاءٌ كَاسِياتٌ عَارِيَاتٌ مَائِلاتٌ مُمِيلَاتٌ رُءُوسَهُنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ المَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنْ رِيحَهَا لَيُوجَد مِن مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا** ](٢)؛ بل انظر إلى سائر العقوبات التي أهلك الله ﷻ الأقوام السابقة بها: كقوم نوح سخروا منه فأغرقهم الله تعالى، وقوم لوط فعلوا الفاحشة فحلَّ بهم سخط الله وعذابه، وفرعون وقومه، وثمود، وعاد، وغيرهم في كل زمان ومكان، فقد كان للعمل الظاهر دور كبير في هلاكهم.

**٤-** القلب صغيرُ الحجم إذا امتلأ بالإيمان فاض على جوانبه، ككوب الماء إذا امتلأ انسكب الماء الزائد على جداره؛ وكذا القلب لو امتلأ بالإيمان انسكبت هذه الزيادة على الجوارح؛ فترى أثر الإيمان على لسانه، وفي نظرته، وفي مشيته وخطواته، وفي يديه وسمعه، وفي مظهره، فإذا انصلح القلب صلحت الأعضاء، وإذا فسد فسدت الأعضاء، فالقلب مَلِكٌ على الجوارح يأمرها ويوجِّهها، وله تَسمع وتُطيع، فصلاح الظاهر دليل على صلاح الباطن، وفساد الظاهر دليل على فساد الباطن.

---

(١) أخرجه البخاري: ك: «الوضوء» ب: «ما جاء في غسل البول» ح: (٢١٨)، ومسلم: ك: «الطهارة»، ب: «الدليل على نجاسة البول»، «٢٩٢» عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه مسلم: ك: «اللباس والزينة» ب: «النساء الكاسيات العاريات» ح (٢١٢٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه.

٥- والقلب إذا كان محل نظر الله ﷻ **فإلى أي القلوب ينظر الله؟ هل القلوب التقيَّة الممتلئة بحبِّه وخشيته؟ أم القلوب المفتونة بالدنيا وعشق النساء والصور وتشتهي المحرم؟ أيُّ النوعين يليق بنظر الله تعالى إليه؟**

٦- قال ابن عباس رضي الله عنهما: «**الشَّيطَانَ جاثِمٌ عَلى قَلْبِ ابْنِ آدَم، إِذَا ذَكَرَ اللهَ خَنَسْ، وَإِذَا غَفَلَ وَسَهَا التَقَم قَلْبَهُ**»(١) وهذا قوله تعالى: ﴿**مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤**﴾ [الناس].

**والذكر**: عمل اللسان الظاهر، فانظر كيف كانت حماية العبادة الظاهرة باللسان للقلب من الشيطان!

٧- هذا القلب الصغير في الحجم، إذا فرضنا وقلنا: إِنَّه امتلأ بالإيمان. فإنَّ كل سيئة يكسبها أو يفعلها العبد تُنكت في قلبه نكتة سوداء، فإذا تاب صقِلتْ، فإذا أذنب ذنبًا آخر نكتت فيه نكتة سوداء أخرى، **وهكذا إذا توالت الذنوب يحدث أمرين**:

**الأول**: كل نكتة سوداء تطرد محلها وحسب حجمها كمية مِنَ الإيمان على قدر حجمها خارج القلب.

**الثاني**: حدوث الران على القلب في قوله تعالى: ﴿**كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝١٤**﴾ [المطففين]، والرَّان هو طبقة مِنَ السواد تغشى القلب وتحجُب عنه الفهم والتدبر لكلام الله وكلام رسوله ﷺ، وهو مما ورد في قوله تعالى: ﴿**فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ۝٢٢**﴾ [ق].

وفي حديث الفتن قوله ﷺ: [ **تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحُصِيرِ عُودًا عُودًا،**

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «مُصنفه»، برقم (٣٤٧٧٤) بسندٍ حسن.

فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ، عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ، مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ ][(١)].

فإنكار الفتنة والبعد عنها علامة مهمَّة لسلامة القلب، وما أكثر هذه الفتنَ مِنْ شيوع الرِّبا والتبرُّج والسّفور، وخداع الناس وأكلِ أموالهم بالباطلِ، وعدم الوفاء بالعهد، والكذب في الحديث، وأعظمها فرقة أهل الدِّين، واختلاف العلماء، وسوء حالة الأمة المسلمة، وتردِّي أوضاعها، وغلبة أهل الكفر عليها، وموالاة أهلها لهم، والتحاكم إلى القوانين الوضعية مضاهاةً لشريعة الرحمن جلَّ وعلا، وإباحة المحرَّمات تحت مُسمَّيات وهميَّة، وانتشار الفواحش والإثم وشيوعها.. إلى غير ذلك من الفتن، نسأل الله منها، آمين.

**٨-** القلب محل النيَّة والعبادات القلبيَّة من المحبَّة والخوف والرجاء واليقين والتوكل على الله ﷻ، والثبات والشجاعة والإخلاص، فإنْ صلَحت هذه العبادات وَوُفِّق العبد فيها، صلَحت عباداته الظاهرة مِنْ توحيد وصلاة وصيام وحجٍّ وهجرة وجهاد وصدقة، وأمر بالمعروف ونهيٍ عَنِ المنكر، ودعوة الناس إلى الخير، وكانت مقبولة عند الله تبارك وتعالى، ويكفي أَنَّ النيَّة محل الحساب يوم القيامة؛ لقوله ﷺ: [ **إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امرِئٍ مَا نَوَى**][(٢)]. والنيَّةُ محلُّهَا القَلبُ.

---

(١) أخرجه مسلم ك: «الإيمان» ب: «بيان أن الإسلام غريبًا» ح: (١٤٤) من حديث حذيفة ﷺ.

(٢) أخرجه البخاري: ك: «كيف بدأ الوحي»، ب: «بدء الوحي» ح: (١)، ومسلم: ك: الإمارة، ب: «قوله: إنما الأعمال بالنية»، ح: «١٩٠٧» من حديث عمر بن الخطاب ﷺ.

٩- والقلب كثير التقلُّب؛ لذا كان مِنْ دعائه ﷺ: [ يَا مُقَلِّبَ القُلوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلى دِينِكَ ][1]، وقال تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عمران].

● وفي أزمنة الفتن يُمسي الرجل مؤمنًا ويصبح كافرًا، ويُصبح الرجل مؤمنًا ويُمسي كافرًا يبيع دينَه بِعَرضٍ مِنَ الدنيَا قليل؛ لذا كانت أجمل وأغلىٰ نعمة علىٰ أهل الإيمان بعد نعمة الهداية للإسلام هي نعمة الثبات والربط علىٰ القلب فتجعل القلب يقبل الزيادة في الإيمان ولا يقبل النقصان. قال تعالىٰ في قصة أصحاب الكهف: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [الكهف]، وقال في أمِّ موسىٰ عليه السلام: ﴿لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾﴾ [القصص].

❁ ❁ ❁

١٠- والقلب محل الابتلاء والتمحيص؛ قال تعالىٰ: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وكذلك القلب محل العمىٰ والكفر؛ قال تعالىٰ: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿٤٦﴾﴾ [الحج].

● وهذا موجز مختصر لبيان بطلان من احتج بترك الأعمال الظاهرة بحجَّة أنَّ الله تعالىٰ لا ينظر إليها، ولكن ينظر إلىٰ قلبه، وهو مِنْ أجهل الناس بمعرفة قلبه، فمن أعلمه بحال قلبه، وصحَّته مِنْ علَّته، والله سبحانه وتعالىٰ لم يجعل دليلًا علىٰ ذلك سوىٰ صلاح الظاهر أو فساده.

❁ ❁ ❁

(١) أخرجه الترمذي ك: «القدر» ب: «ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن» ح: (٢١٤٠)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

**رابعًا: التربية والتدريس:**

وهي إحدى وسائل الخطاب الدِّيني المهمَّة والضروريَّة، والأمم عامَّة لا ترتقي إِلَّا إذا ارتقت في هذا المجال؛ **لذلك لا بُدَّ مِنْ ملاحظة أن:**

**١-** التربية تبدأ بالبيت وفي المدرسة حتى الجامعة، وفي أماكن الترفيه، والنوادي وأماكن اجتماع الناس وندواتهم.

**٢-** التربية تكون بالسلوكيَّات وبالقدوة - وما أحوجنا إلى هذه القدوة في كلِّ المجالات - وبالملاحظة، وبالعتاب والثواب والعقاب والملائمين للشرع الحنيف.

وتكون بالترغيب والترهيب حسب مُقتضى الواقع وحاجة المربي وطبيعة مَنْ يرعاه وتقع عليه هذه التربية، وثقافته وعمره ومعرفة أثر الأسلوب المناسب عليه.

**٣-** التربية لا يتنافى الحزم والحسم فيها مع الحب والشفقة، وقد يلجأ المربي أحيانًا للشدة على من يحب، حرصًا على سلامته ومصلحته واستقامته.

**فَقَسَا لِيَزْدَجِرُوا ومَن يَكُ حازمًا فَلْيَقْسُ أحْيانًا علَى مَن يَرْحَمُ**

**٤-** البيئة المحيطة بالإنسان وأسرته وجيرانه لها تأثير كبير جدًّا على الإنسان، وخاصَّة الصاحب؛ وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ مرفوعًا: **{ الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ }**[1]؛ وكما يقال: الصَّاحِبُ سَاحِبٌ.

وتتفاوت نسبة تأثير الصاحب على صاحبه في مراحل العمر، فيكون تأثير الصاحب في سِنِّ ما قبل المدرسة لا تتجاوز ٢٠٪، وفي مرحلة الروضة ترتفع إلى ٣٠٪، وفي الابتدائي قد تصل إلى ٥٠٪، وفي الإعدادي تصل إلى ٦٠٪، وفي الثانوي تصل إلى ٧٥٪، وفي الجامعة قد تصل إلى ٩٠٪.

---

(١) أخرجه أبو داود ك: «الأدب» ب: «مَنْ يؤمر أنْ يجالس» ح (٤١٩٣)، صحيح الجامع ح (٣٥٤٥).

وللوالدَين أثر كبير جدًّا في اختلال هذه النِّسَبِ إذا تمَّ مصاحبة الأولاد، ويلي ذلك مصاحبة ومصداقة أصحاب الأبناء وأسرهم.

**٥-** المسجد له دور كبير ومهمٌّ في التربية وتقويم السلوك وتكوين الشخصية، لأهميته في الطهارة، وتنظيم الوقت، والانتظام في صفوف، وتعلُّم الالتزام تحت قيادة صالحة في صلاة الجماعة، وتعلُّم الصبر، وتجدُّد الطاقة الإيمانيَّة والذهنيَّة، وتعلُّم الحلال والحرام، وإتقان العمل والاعتماد على النفس، والنشاط والهمَّة المتمثِّلة في صلاة الفجر والجمع والأعياد.

**٦-** العمل التعاوني والتطوعي له أهمية كبري وأثر كبير في التربية والسلوك، لذلك أمر الله تعالى بالتعاون على البرِّ والتقوى، ونهَى عن التعاون على الإثم والعدوان بحيث لا تنشغل الأمة بهذا العمل عن مهامها من الدعوة والجهاد.

**٧-** ممارسة الرياضة كركوب الخيل، والسباحة، وتعلم الرماية، والمصارعة، وسائر الألعاب التي تقوِّي البدن، وتساعد على الاعتزاز بالنفس قويَّة كقوَّة الإيمان وقوّة البدن وقوّة الرمي، وهذه من عوامل القوّة المطلوبة، وفي قوله ﷺ: [**أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ**][1]، وقوله: [ **الْمُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيرٌ وَأَحبُّ إِلى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيرٍ، احْرِصْ عَلى مَا يَنْفَعَكَ..**][2] الحديث. فوائد ودروس تربوية عظيمة.

**٨-** ولحفظ القرآن الكريم ودراسة أحاديث الرسول ﷺ وسيرته أهميةٌ قصوى في التنشئة الصحيحة، والنطق الصحيح، والفهم السديد للأمور، وله أثره على

---

(١) أخرجه مسلم ك: «الإمارة» ب: «فضل الرمي والحثّ عليه» ح (١٩١٧)، عن عقبة بن عامر رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم: ك: «القدر»، ب: «الأمر بالقوة وترك العجز» ح (٢٦٦٤)، عن أبي هريرة رضي الله عنه.

سرعة البديهة، وتصحيح المفاهيم، وأهم مِنْ ذلك كلّه أثره على السلوك الصحيح وتجنّب الرذائل والتحلّي بمكارم الأخلاق، وحبّ الفضائل، وعمل الخير، وكذلك دراسة سير الصحابة والأعلام والتاريخ الإسلامي المليء بالأمجاد والبطولات والعلماء والمربِّين والمصلحين والقادة.

**٩-** ولا بُدَّ أَنْ يكون للآباء والمربِّين والجهات التربويَّة والتعليميَّة خطط سنويَّة وثلاثيَّة وخماسيَّة لترسيخ مفاهيم محدّدة راسخة وثابتة، يتكون مِنْ خلالها أجيال تتعلم كيف تُسَيِّر الأمور، وتخطِّط للمستقبل، ترتقي بالذات، وتكون لديها الهمَّة العالية في قيادة البشريَّة لتلائم كونها خير البريَّة، وأفضل أجناس البشريَّة، وخير أمَّة أخرجت للناس، وتتعلم كيف يكون الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين.

**١٠-** لا بُدَّ مِنْ إعداد المربي والمعلم، والموجه بدورات علميَّة تربويَّة سلوكية لأننا نعاني ومنذ سنوات بتخرج أجيال مِنَ المدرسين لايصلحون لا للتدريس ولا للتوجيه ولا للقدوة ولا للقيادة، وقد تشابكت ظروف عديدة في إعداد هذه الأجيال الهشَّة، ولكننا لا نيأس من الإصلاح ولا مِنَ التخطيط للمستقبل، ولا مِنْ روح الله تعالى وفرجه، ولا نقطع الأمل أبدًا بالتغيير كما وعد الله تعالى به.

❁ ❁ ❁

**خامسًا: الصحافة والإعلام والفضائيات:**

وهذه وسائل مهمَّة وخطيرة في التأثير على الناس، وتحتاج إلى خطاب وأسلوب مِنْ نوع معين؛ لأنَّه يخاطب شريحة عريضة مِنَ المجتمع مختلفة الأهواء والثقافات والرغبات، متعدِّدة في أنماط الحياة والسلوكيات.

وهي سلاحٌ ذو حَدَّيْن - لو أحسنَّا استغلاله وتقويمه وتوجيهه في قضايا الأُمَّة

المصيرية وصالح العباد والبلاد لكان نافعًا صالحًا رائعًا في تغيير أنماط السلوك الخاطئة، وتوجيه الطاقات المعطَّلة، وإصلاح ما أفسدته الأحداث المتراكمة والمتراكبة عبر السنين.

❁ ❁ ❁

**سادسًا: خطب الجمعة والعيدين والنكاح، والخطب السياسية والقومية وفي المناسبات وغيرها:**

وهذه مِنْ أهم الأَشياءِ التي تحتاج إلىٰ تحديث وتطوير وإعداد وتحسين وتهيئة.

**وللأسف فقد فقدتِ الجُمُعَةُ أثرها ودورها في الحياة؛ لعدَّة أسباب منها:**

- ضعف المستوىٰ اللُّغوي والفقهي والعلمي لكثير مِنَ الخُطباء، والعجز الكبير في الخطيب المؤهَّل والممكَّن.
- التحكُّم في مَنْ يخطب الجمعة، وارتباط الخطيب وإلزامه بخطبة مكتوبة مما يحجب مواهبة وخبرته وعلمه، ويفقده تأثيره علىٰ الناس.
- جعل الخطابة وظيفة رسمية، وجعلهم أقل الموظفين في الدولة رواتب؛ مما ينفِّر المؤهَّلين مِنْ هذه الوظيفة، ويشغل القائمين عليها بتكاليف الحياة وغلاء المعيشة فيصبح الخطيب مجرَّد موظف.
- إخضاع المساجد وخطب الجمعة للرقابة الصارمة، مما يُفقِدها الهدف منها، ويحول الدِّين مِنْ دين ربَّانيٍّ إلىٰ دين هامشيٍّ سياسيٍّ يخضع لهوىٰ الحكومات وسياستها، والمفروض أنْ يكون العكس، وأنْ تكون الرقابة مِنَ الجهات العلميَّة والهيئات الإسلامية فقط، وأنْ تكون الرقابة الصارمة علىٰ المعابد للديانات الأخرىٰ لقيام الشُبهات حولها، ومحاولتها إثارة الفتن، والتبشير في أوساط

المسلمين، والعمل تحت ستار الأعمال الإنسانية والخيرية.

● التحكُّم في تعيين الخُطباء، ولا بُدَّ أنْ يكون مرضيًّا عنه من جهات بعينها أو موافقًا لرغبات جهات بعينها؛ مما يجعل عمل الخطيب في رياء وخوف دائمٍ؛ مما يفقده شخصيته وتأثيره على الناس، وعجزه عن علاج قضايا الأمَّة. وهذا يساعد على تهميش الدِّين في حياة الناس وترسيخ مفاهيم الحداثة والعلمانيَّة.

ولقد كان لخطيب الجمعة المؤهَّل تأثيرٌ كبيرٌ في حياة الناس، سواء مِنَ الناحية الأخلاقيَّة، أو ترسيخ مفاهيم الأمن الحقيقي من منع السرقة والرِّشوة والزِّنا وشرب المسكرات والمخدرات والقتل وإيذاء الناس وغير ذلك، مما يُعَدُّ من أهم أساليب الأمن الوقائي في كل العصور، وشحن الأمة وشحذها على الجهاد والدفاع عن الدِّين.

والتاريخ مليء بالقصص والحوادث والتي تذكُر لنا أنَّ خطيبًا للجمعة «**كسبط ابن الجوزى**» أحيا الجهاد في أمَّة ضد التتار الغُزاة المحتلين بخطبة جمعة في المسجد الأمويّ بدمشق، وكان مسجد الأزهر بمصر باعثًا مهمًّا ومركزًا لانطلاق الجهاد ضد المحتلين في مصر أيام الاحتلال الفرنسي والإنجليزي.

وفي العصر الحديث كَمْ مِن ثورات حدثت، وتغيرات في دول بأكملها مِنْ خطب رنَّانة غيَّرت مجرى حياة الناس وأحداثهم.

❁ ❁ ❁

**سابعًا**: **تكنولوجيا الاتصالات**: الهواتف الأرضية والنقَّالة والفاكس والبريد والشبكة العنقودية (الإنترنت)، وطباعة الكتب، والكتيِّبات والمطويات، والكاسيت، واسطوانات الكمبيوتر. كل هذه الوسائل يمكن استخدامها في توصيل

الخطاب الدِّيني. وهي وسائل فعَّالة ولها تأثير قويٌّ، ويمكن مِنْ خلالها عمل علاقات قويَّة وصلات وثيقة سواء بالمسلمين الجدد، أو العائدين إلى الله ﷻ.

❁ ❁ ❁

**ثامنا: الدعوة الفردية:**

لا يشترط للداعي إلى الله تعالى أنْ تكون دعوته مِنْ خلال هيئة أَو جماعة، لأنها في الأساس الأول مسئولية كل فرد، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت]. وقال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل:١٢٥].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨].

**ونلاحظ القدوة والسلوك في الدعوة الفردية من خلال هذه الآيات:**

**١-** قَوْلٌ حَسَنٌ منتقى انتقاءًا جيدًا، لأنه واجهة لدعوة الإسلام التي يدعو إليها.

**٢-** دعوة يتبعها عملٌ صالح حتى لا يُخالِفُ القولَ العملُ. ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الصف]، فالجانب الاجتماعي والسلوكي والأخلاقي والتربويّ للداعية أمرٌ مهمٌ جدًّا.

**٣-** دعوة في إطار الإسلام فلابُدَّ من التقيُّد به، ولايسع الداعي الخروج عنه؛ لأنها دعوة إلى الإسلام.

**٤-** سبيلٌ واضح وطريق مستقيم بيِّنُ المعالم، واضح الدلالة، لا وعورة فيه، ولا تشدُّد ولا تفريط.

**٥-** البصيرة والحكمة والخبرة في الدعوة إلى الله تعالى، والتي مِنْ آثارها الجدال

بالتي هي أحسن.

إنَّ حركة الأفراد بالدعوة داخل المجتمع لها أهمية قصوىٰ، ومجالها واسع في العمل، والمتجر، والمصنع، والمدرسة، والجامعة، ومع الجيران والأقارب والأصدقاء والمعارف، ومِنْ خلال التجمعات واللقاءات والمنتديات والندوات والمحاضرات، ومِنْ خلال حِلَقِ العلمِ والذكر والدروس المنهجيَّة.

❁ ❁ ❁

## تاسعًا: الدعوة بالإعلان والدعاية والبريد:

ولاغرابة في ذلك فقد تقدَّمت وسائل الإعلان والدعاية بصورة مذهلة، وتطوَّرت تطوُّرًا كبيرًا، ويمكن الاستفادة منها في خدمة الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ، وتوصيل الخطاب الدِّيني بصورة حديثة، ولو بالهدايا الإسلاميَّة، والدعاية الملائمة لها، كعمل أجندة إسلامية، وأجندة تنمية الذات، وتقويم حوائط ورقية وما شابه ذلك، ويمكن استغلال الفرص المتاحة بالبريد لوصول مئات الرسائل علىٰ صناديق البريد بأسعار زهيدة.

❁ ❁ ❁

## عاشرًا: الدعوة بالجهاد في سبيل الله تعالى:

وذلك مِنْ أسباب مشروعيَّة القتال لتوصيل كلمة الله تعالىٰ، وإزالة أي عقبات أمامها، ولحماية الدعاة في كل مكان، وتحقيق الأمن والأمان للدعوة والدعاة؛ ولفتح المجال لكي يتعرف العالم بأخلاق المسلمين الراقية في الحرب والسلم، والجهاد والأعمال، وبمنهاج الإسلام العظيم في هذه الفريضة العظيمة.

❁ ❁ ❁

# وقفـة

- متى يكون لك هدف في الحياة؟! فأنت إذا لم تزد على الدنيا شيئًا، فاعلم أنك زائد عليها.
- تعوَّذ بالله تعالى مِنْ جَلَد الفاجر، وعجز الثقة.
- ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، أعبدُ الناس أسعدهم، والقناعة كنز لا يفنى.
- النظام مِنْ سُنن الله تعالى في الكون، فكن منظمًا تكن هادئًا سعيدًا.
- إنما الكافر حيران له الآفاق تيهٌ *** وأرى المؤمن كونًا تاهت الآفاق فيه.
- قلِّل الشكوى فإنها تجدد الأحزان وتثبت الآلام وتذهب بجمال النفس:

  أيها الشاكي وما بك داءٌ *** كيف تغدو وإذا غدوت عليلًا

  أترى الشوك في الورود وتعمى *** أنْ ترى فوقه الندى إكليلا

- لا تقم الدعوات على الذين يأخذون بالرخص، إنما تقوم على الذين يأخذون بالعزائم.
- عليك بحسن الخلق فإنه المكارم كلها، وهو الطريق إلى السعادة؛ لأن سوء الخلق شؤم وتعاسة.
- الشدائد فيها إصلاح للنفس أكثر مما تفسده على النفس، وقد يفسد الترف العيش وتمل النفس ويفسدها أكثر مِنَ التنعم به.

❁ ❁ ❁

obeikandl.com